

تفسير البحر المحيط

@ 97 @ تعالى . والضمير في { لَدَيْهِ لَوْ هُمْ } إن كانت ما لمن يعقل فهو عائد عليها على المعنى ، وأن لا يعود على ما يفهم من سياق الكلام وهو سكان الأرض المكلفون { * } وأيهم { } يحتمل أن يكون الضمير فيها إعراباً فيكون { لَدَيْهِ لَوْ هُمْ } أي هُمْ { مبتدأ و { أَحْسَنُ } خبره . والجملة في موضع المفعول { لَدَيْهِ لَوْ هُمْ } ويكون قد علق { لَدَيْهِ لَوْ هُمْ } إجراءً لها مجرى العلم لأن الابتلاء والاختبار سبب للعلم ، كما علقوا سل وانظر البصرية لأنهما سببان للعلم وإلى أن الجملة استفهامية مبتدأ وخبر ذهب الحوفي ، ويحتمل أن تكون الصمة فيها بناء على مذهب سيبويه لوجود شرط جواز البناء في أي . وهو كونها مضافة قد حذف صدر صلتها ، فأحسن خبر مبتدأ محذوف فتقديره هو { أَحْسَنُ } ويكون { أَيُّهُمْ } في موضع نصب بدلاً من الضمير في { لَدَيْهِ لَوْ هُمْ } ، والمفضل عليه محذوف تقديره ممن ليس { أَحْسَنُ عَمَلًا } . وقال الثوري أحسنهم عملاً أزهدهم فيها . وقال أبو عاصم العسقلاني : أترك لها . وقال الزمخشري : حسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها . وقال أبو بكر غالب بن عطية : أحسن العمل أخذ بحق مع الإيمان وأداء الفرائض واجتناب المحارم والإكثار من المندوب إليه . وقال الكلبي : أحسن طاعة . وقال القاسم بن محمد ما عليها من الأنبياء والعلماء ليلو المرسل إليم والمقلدين للعلماء أيهم أحسن قبولاً وإجابة . وقال سهل : أحسن توكلاً علينا فيها . وقيل : أصفى قلباً وأحسن سمناً . وقال ابن إسحاق : أيهم أتبع لأمرى وأعمل بطاعتي . .

و { أَرْحَمُ * لَجَاءَ لُونِ } أي مصيرون { مَآءَ لَيْهَآ } مما كان زينة لها أو { مَآءَ لَيْهَآ } مما هو أعم من الزينة وغيره { صَعِيداً } تراباً { جُرُزاً } الأنبات فيه ، وهذا إشارة إلى التزهيد في الدنيا والرغبة عنها وتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم) عن ما تضمنته أيدي المترفين من زينتها ، إذ مآل ذلك كزله إلى الفناء والحق . وقال الزمخشري : { مَآءَ لَيْهَآ } من هذه الزينة { صَعِيداً جُرُزاً } يعني مثل أرض بيضاء لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة في إزالة بهجته وإمالة حسنة وإبطال ما به كان زينة من إمالة الحيوان وتجفيف النبات والأشجار ونحو ذلك انتهى . قيل : والصعيد ما تصاعد على وجه الأرض . وقال مجاهد : الأرض التي لا نبات بها . وقال السدسي الأملس المستوي . وقيل : الطريق . وفي الحديث : (إياكم والقعود على الصدقات) . .

{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ أَصْحَابَ الْكُفْهِفِ وَالرَّسَّاقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * } إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكُفْهِفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ

لَّـدُّنْكَ رَحْمَةً * وَهَيَّيْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا
عَلَيْنَا أَذَانَهُمْ فِي الْكُفِّهِمْ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَا هُمُومًا لِنَعْلَمَ
أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا * نَحْنُ زَقُصُّ عَلَىكَ
نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِي تَيْبَةٍ عَامِنُوا بِرَبِّهِمْ وَزَرَدْنَا هُمُومًا هُدًى *
وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَنْ نَسُدَّ عَنَّا مِنْ دُونِهِ إِلَّا هَا لَسَقَدَ قُلُوبُنَا إِذَا شَطَطًا } . .
{ أَمْ } هنا هي المنقطعة فتتقدر ببل والهمزة . قيل : للإضراب عن الكلام الأول بمعنى
الانتقال من كلام إلى آخر لا بمعنى الإبطال ، والهمزة للإستفهام . وزعم بعض النحويين أن {
أَمْ } هنا بمعنى الهمزة فقط ، والظاهر في { أَمْ } حَسِيدَتَ { أنه خطاب للرسول صلى الله
عليه وسلم) . فقال مجاهد : لم ينه عن التعجب وإنما أراد كل آياتنا كذلك . وقال قتادة
: لا يتعجب منها فالعجائب في خلق السموات والأرض أكثر . وقال ابن عباس : سألوكم عن ذلك
ليجعلوا جوابك علامة لصدقك وكذبك ، وسائر آيات القرآن أبلغ وأعجب وأدل على صدقك . وقال
الطبري : تقرير له عليه السلام على حسابه { أَنْ } أَمْ حَبَابَ الْكُفِّهِمْ { كانوا }
عَجَبًا { بمعنى إنكار ذلك عليه أن لا يعظم ذلك بحسب ما عظمه عليك السائلون من الكفرة ،
فإن سائر آيات الله أعظم من قصتهم . قال : وهو قول ابن عباس ومجاهد وقاتادة وابن إسحاق .
وقال الزهراوي : يحتمل معنى آخر وهو أن يكون استفهاماً له هل علم { أَنْ } أَمْ حَبَابَ
الْكُفِّهِمْ * كَانُوا * عَجَبًا { بمعنى إثبات أنهم عجب ، ويكون فائدة تقريره جمع نفسه
للأمر لأن جوابه أن يقول لم أحسب ولا علمته ، فيقال له وصفهم عند ذلك والتجوز في هذا
التأويل هو في لفظة حسبت انتهى . وقال غيره : معناه أعلمت أي لم تعلمه حتى أعلمتك . .
وقال الزمخشري : ذكر من الآيات الكلية تزيين الأرض بما خلق فوقها من الأجناس التي لا
حصر لها ، وإزالة ذلك كله كأن